

القاتل ، نفسه ، ثم ان ثورة خديجة نفسها ، و ابراهيم ايضا ، ثورة مسبوخة تفقد أي طابع انساني اراد ان يطبعها الكاتب به . لا اعلم كيف يفكر ابراهيم اولاً بالثورة لتحرير المرأة ، وهو الذي يعيش على ارزاق الفلاحين ، بما يتمتع حسين بسندياته . ولا اعلم كيف تموت خديجة في سبيل ذلك ، وقد توصلت اليه بما سرقته من الفقراء . كيف يريد ابراهيم وخديجة ، المثقفان ، الواعيان ، من مجتمع بدائي تقريبا ، ان يفهم معنى حرية المرأة ، قبل ان يفهم حريته ، وقبل ان يتحرر من ربقة الاستغلال ، ربقة ابراهيم وخديجة وشركائهم في سلب الفلاحين ؟

هنا ، لو ان الكاتب اظهر هذين الناثرين ، اللذين يريدان ان يكونا انسانين ، في انسانية نهلة ، مثلاً ، لما حدث شيء من هذا التناحر الاهوج ، بين مسرحية فرضت في البداية مشكلتها ، ثم تدخل الكاتب في الفصول الاخيرة ، فاخترع قصة « سندات الدين » واستغلال بعض الناس لجهود الفلاحين . فهو بهذا ابان بانه تخلى عن دعوته الى الحرية ، واقصد بها حرية المرأة ، الى حرية الفلاحين من عبودية الاقطاعيين والمستغلين . فكان ان افلتت من يده دعوة جميلة جدا ، حبذا لو لم يتركها .

واما ابراهيم ، وهو الذي عرف في أي سبيل ستذبح اخته ، فهل من مبرر لهربه ؟ الا يدل موقفه « الغير واعى » هذا على انه قسود فقد الامل رغما عنه ، وبارادة الكاتب ، لا بارادته ؟ الهزيمة لا مبرر لها ، بعد ان تبين له ان اعداءه ليسوا سوى شرذمة من المحتالين ، لا يبقون من ذلك سوى فائدة مادية ، لا صلة لها بالشرف والعرض .

مع ذلك لا يريد الكاتب الا ان ينحت هذا الصخر ، وبأزميل مثلوم ، أفقد التمثال شيئا من معقولية ، واكسبه بعض الفقرات المكسورة ، واخرى ملتوية . لسنا نفهم كيف تقول خديجة : « ها .. هل كانت لي اناقة حقا ، انا ابنة القرية ؟ كفاك اوهاما تطعم بها غرورك وكبرياءك .. انسا لم اكن في احد الايام الا خديجة بنت السيد صالح .. ايه .. ربما كنت ازيد في اناقتي كي انسيك قليلا « حقيقتي » .. » كان هذه الحقيقة تخجل هذه الفتاة التي ترى « الشوارع اارض لها ، ارى رؤوس «الصحيح رؤوسا » بعضها صلعاء ، بعضها سوداء السقف ، شقراء السقف . كل الناس في المدينة مسقوفة رؤوسهم جيدا ، الافكار في سجنها دائسا والامال مكورة في الداخل ، والعيون منخفضة نحو اسفل . » ؟

لسنا نفهم ايضا كيف تقول « .. مسكين محمود بك ، هل كان يحلم في حياته ان حوشه المدهون سيصبح مسكنا لصالح وعائلته .. كان طيبا اذ اوصى لابي بيته وقطعانه ، واتقن ابي فيما بعد صناعة البيك ، فنظمت اراضي جديدة .. و » ولم تكمل لان منيب لو تركها تفعل ، لسمعتها تسرد تاريخا مشوقا ، ولا شك ، لولا ان الكاتب انتبه ، بعد فوات الاوان الى تقرير رئيس مخفر الشرطة ، الذي يشبه ، الى حد ما ، حديثها هذا ، فنحن في منيب نفسا ليقاطعها .

ولسنا نفهم ، وقد يكون لاسفاف في تفكيرنا ، كيف تتحدث خديجة بكل بساطة : « وهل يمكنك ان تكون انت دربي ؟ دربي ، الى اين ؟ انسا فقيرة . » ترى ما معنى ذلك ؟ وهذا الفقر خصوصا ! حبذا لو ان الكاتب ابتعد عن هذه الشعاعية والغموض وعمد الى البساطة . هل يمنع ذلك ان يكون عميقا في بساطته ؟ لا اظن .

ابطال المسرحية الثلاثة ، ابراهيم ومنيب وخديجة ، استقوا كلهم من نفس الكاتب وتشابهوا الى حد غريب . قد يكون ذلك لشاعرية الكاتب واغراقه فيها ، انظر مثلا ..

« خديجة : لانطلق النافذة ، لا اريد ، لا اريد ، احب ان اطل هكذا من بعيد على موت الشمس .. من هنا ، من هذه الغرفة العالية في الجبل اطل كذلك على موت المدينة .. اواه السقوف البيضاء ، والاشمعة الصفراء ، وغمام الانفاس ، انفاس الشوارع المكتظة هناك حيث تنعقد فوق المدينة كقيمة زرقاء ، تمتص الضجيج ، تنجر قذارة الانفاس ، ولكنهما تظل رابضة على صدر الساحات والشوارع السوداء . »

«رجال محاصرون» .. أيضا

تتملق المسرحية ، وتأخذ ، للوهلة الاولى ، ضخامة غريبة ، يابى الكاتب الا ان يظهرها بوضوح في جميع ابطالها ، كلهم متطرفون في ارائهم ، ولا مجال للقاء . منيب ، فنان اناني يهمله ان ينهي كتابه ذا الصفحات الثلاثية ، حتى نزوله الى ميدان الاحداث يبدو مانعا ، مشرا للشفقة ، وللسخط احيانا . خديجة ، الضحية ، الواعية بشكل مرعب ، الفيلسوفة ، الثائرة بعنف يابى اية مساومة ، تتركز حولها الاضواء لثورتها ضد انظمة القرية وتقاليدها . ابراهيم ، الناثر ايضا ، المعاني تمزقا هائلا يشله ، فيقف عاجزا عن مجابهة الواقع الذي سعى اليه ، شباب مثقف ، متمدن ، يطلب منه ذبح اخته لانها آمنت بما لقنها اياه : حرية الانسان . اما بقية الاشخاص فتركهم الى حين ، لان حركاتهم انتمائية ، ثانوية ، كما اراد الكاتب .

هناك ثورة ، واذا تساءل احد منا عن سبب هذه الثورة ، فسان المسرحية تعطينا جوابا منذ البداية ، يختلف عن الجواب الذي يحشره الكاتب في النهاية . انه « عبودية المرأة » في المجتمع القروي ، تروي بداية المسرحية . وانه « استغلال الفلاحين » في المجتمع الاقطاعي ، كما يريد الكاتب .

اذا كان الكاتب يريد ان يسلط الاضواء على مفهوم الشرف ، والوصم والسمعة ، في المجتمع القروي ، فانه للاسف لم يعطينا سوى صورة عن جشع بعض المستغلين : حسين ، والشبح منصور . لولا جشع الاثنين لما ماتت خديجة ، وكيف رضيت بالموت ؟!

« حسين : سيدبر امرها سميد بك .. ينبغي ان تبقى اقوياء امام الضيعة .. لو تهاوتنا مع خديجة ضاعت السندات كلها .. »

ابراهيم : لماذا لم تقل هذا من البدء يا اخي . افما كان اوضح وأيسر على الفهم لو اننا تخلينا عن هذه الالفاظ الكبيرة ، الشرف والعرض والسمعة ..

حسين : عندما لن نقاوم نساءنا ، فاننا لن نستطيع ان نقف في وجه اصفر صعلوك في القرية . ولا تنس انك واحد منا ، من الذين سيتنعمون من هذه السندات . فلو رجعت الارض الى اصحابها ، سوف ترجع فلاحا صغيرا ، تعمل في الطين معنا ، ولن ترى الجامعة ولا الشام في حياتك . ولذلك ليس هناك سوى هذا الحل .. عليها ان تجبر حبيبها على الزواج منها حالا . »

هذا الحديث يفتح بابا لتساؤلات عديدة ، ويطرح موضوع المسرحية كلها بين هذه التساؤلات . ترى هل من مبرر للثورة ؟ هل من مبرر لوقوف ابراهيم ، المثقف الواعي ، هذا الموقف الرخو من قضية ذبح اخته ، بعد ان عرف انها لن تموت الا لاطماع رخيصة ؟ هذه أسئلة كان بودي لو اجاب عليها الكاتب في مسرحيته ، لكفانا اذن عناء هذا الحديث الغير مستساغ حتما .

معقولية الثورة ، هذا ماسوف نبحث عنه . القضية ، خدعة في الاساس ، عرض ، شرف ، سمعة ، كلها اشياء لانهم القتلة . « نارات الرجال ياعررب للرجال .. » لا مبرر لها اطلاقا ، كما بين ذلك حسين ،

مناقشة غير عنيفة

بقلم العفيف الاخضر

اعتذر اولاً عن مناقشة مناقشة نشرت بالعدد السادس من الاداب بينما العدد التاسع يوشك ان يكون في ايدي القراء ، فمرد ذلك الى احدى الضرورات القهرية التي لم تزل تحول بيني وبين قراءة الاداب في الايام .. وقد تصل الى حد حرمانني منها .. رغم شعوري العميق بجدارية المهمة الفكرية التي تتحمل بها الاداب .. وضرورة قراءتها بلا انقطاع لا لتشجيعها وحسب بل ليظل العربي متصلاً بالفكر العربي الحديث في بداية البعث الحضاري للامة العربية الموهوبة .

ولكن التأخير قد لا يعود لغير شعور نفسي بسلطان الزمن : مادامت القضية المطروحة قضية دائمة لاتفوت مع الوقت . ومن ثم فربما يصبح الاحجام عن مناقشتها يقصد ارسال الاضواء عليها ، بفدر الامكان ، ليس الا تبريراً قليلاً لتلك الرغبة الاخرى في الاستهتار والتركة .. اشارة للسلامة بالصمت .. وحباً في النسيان : هذه الرغبة التي تتولى الانسان كما الملت به العوادي .. بالاخص منها مايمطي الوجود طعم العدم .. على ان هذا الشعور على حدته دخيل ، ولا شيء في الحق يمننا من ان نعمل مادامنا نملك الحد الأدنى من القدرة على العمل الا الكسل المستتر بعنوان او باخر .

مناسبة

خصص باب ((قضايا الادب والادباء)) في العدد السادس لمناقشة ادبية حول : ((الفلسفة الجوانبية)) دارت في القاهرة بين الدكتور عثمان امين والاستاذ الجينيدي خليفة .. ولقد تولاني انا الاخر شعور بالخيبة اذ كان مضمون المحاضرة فعلاً لايتعدى ماوردته - ع.ع.ب - وان يكن شعوري بالخيبة يتجاوز حدود المحاضرة والمحاضر كحدث نسبي جانز الحدوث في كل مكان . ولكن ، مع الاسف ، المحاضر يمثل لاحالة فردية بل حالة (نموذجية) لبعض ذوي الالقاب الجامعية في كثير من اقاليم الوطن العربي : يقبلون على القضايا الكيانية الكبرى بنية خطيرة في تزييفها وتهوينها وليس بالهين فيها . والشر انهم كذلك بحكم الفاهم و ((شهرتهم)) يفضلون الكثير .. ويؤكدون ذلك الميل التناقضي الى السطحية تخلصاً من المعاناة واستنزاف الجهود تلك العملية الشريطية لحركة التقدم البشري .

ولو حاولنا ان نعطي لهذه الفئة من الجامعيين اسماً لكان : العدمية الفكرية ، هذه العثة التي تدعم الجامعي - رغم الكم المعرفي - قوقعة حلزون مفترس - هذا في نفسه ؟ اما بالنسبة للاخر الذي لم يكتشفه بعد فهو قدوة سوء .

فمن هو المثقف العدمي ؟ هو هذا النرجسي الجاعل من نفسه محور الوجود ونفسه تعني : شهواته .. ومطامعه وحتى نزواته السفلى .. يكفي هذا العدمي ان يتعرف امراً على حقيقته التي لم يكن ينتظرها حتى يستنز رامياً بالبشرية الى اعماق الجحيم .. يكفي ان تنشر مجلة مقالاً يخالف ((فلسفته)) حتى يحتمل ذلك على محمل الاهانة . بل على محمل الخطر المحيى : خطر زحزحة المحور عن مكانه . ولكن حذار .. فالعدمي باعتباره مفكراً صلاً يصطنعه نفس النهج الذي يتبعه الفكر الحق ، فاذا كان مطلوباً من المثقف ان يواجه نفسه ، مواجهة الصدق والروعة ، لتقويم وتقييم اسباب العطل والفاعلية معا . لينطلق نتيجة لهذه اللحظة النقدية في عملية البناء التصاعدي للحضارة في شتى ابعادها ، فالعدمي بدوره لايتأخر عن اتمام هذه المواجهة الاساسية ولكنها تنقيد بالقلوب : حيث لا يواجه وجوده وانما يواجه ((جثته)) ومنها ينطلق في نشر الاوبئة

ومنيب : ((اه انا لارى الا البشر ، الجين المفضلن ، والعيون المتعبة العليله النظرات بالشك ، والافواه التي لاتنتفح الا عن اقيية .. فيها كل الوجوه معتق التنن .. من اين جيبك هذا ؟ .. كيف يسطع ، كيف تقبل عينك على الارض .. الارض المخيفة بمثل هذه البراءة ، من ايسن انت ؟))

وابراهيم : ((.. لست ادري من اين هبت هذه الرؤوس دفعة واحدة ، من اية جحور سحبت عيونها المظلمه ، وتحلفت كلها حولي .. وتلك الالسنه .. لعننا الله . تلك الالسنه كانت كالسياط التحيلسه الحمراء ، تخرج من اقيية افواههم المنتنه .. وتلسعني ، تلتف حول عنقي ، تنغغد في الهواء الف عقده .. يتظاير سمها هنا وهناك ..))

الى جانب هذا التشابه في ((فذارة الانفاس)) و ((الوجود المعتق المنتن)) و ((اقيية الافواه المنتنه)) يتحرك الاشخاص ، كل بحيويسه دافقة خاصة ، حيناً ، وعمامة ، حيناً اخر ، ويتراوح اسلوب الكاتب بين جفاف الفلسفة مرة ، واخرى بين التقريرية التي اضطر اليها لتوضيح بعض جوانب المسرحية . وعندما تنازم المسرحية ، وهي منازمة منذ البداية ، يدخل المسرح اشخاص جدد ، ابي الكاتب الا ان يريهم الى زوايا الصفات التي الصقها بهم . حسين ، غاية في الخبث والحقارة ، لايتورع عن قتل خديجة في سبيل الاتضيق منه السندات . منصور ، غاية في الكر والجشع ايضاً . سعيد ، غاية في انعدام الشخصية . نهلة ، غاية في الانطلاق والطيبة . واذا عدنا الى الابطال الثلاثة الرئيسيين ، نرى بان السيد الكاتب ، في جفاف هذه الشخصيات الغير واقعية ، ارتكب اثماً بحق المسرحية وابتعد كثيراً عن جو الفصل الاول الذي ، رغم بعض المآخذ مما ذكرنا ، ينتصب عموداً فقرياً للمسرحية كان عليه ان يستند اليه في بناء باقي الفصول .

في النهاية ، لا بد لي ان اتساءل كيف يعمد الكاتب الى مثل هذا الاسلوب ، الذي ان دل ، فعلى شيء من جفاف ادبي ، لعل الكاتب لم يظن له :

((ابراهيم : .. هيا قل !. ماذا حدث لك ؟ ام ان عينك زائفتان .. انت لاترى شيئاً .. يكاد ان يفمي عليك ..)) لتتصور رجلاً يحسدت اخر بهذا ! كيف يعلم انه لا يرى شيئاً ؟

ولا بد من الاشارة هنا ، الى اني لم اتحدث مطلقاً عن جهد السيد الكاتب ، للمحوظ ، والذي يشكر عليه في كتابة هذه المسرحية . واعتقد ان الدكتور الصبان تحدث مافيه الكفاية عن هذا الجانب . وان كان العمل النقدي يتطلب مني ذلك فاني اعتذر ، وكان بودي حقاً لو قمت به لولا اني ، في الحق ، اصبت بشيء من الخيبة ، اثر مطالعتي للفصلين الاخيرين .

وان كنت تحدثت ، سيدي الكاتب ، عن مساوئ هذه ، فانسى لارجو ان اتحدث عن حسنات مسرحية مقبلة في المرة القادمة .

أ . ي

في البحرين

تطلب ((الاداب)) وكتب ((دار الاداب))

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

الذهنية بين قرائه غير المكتشفين للعددة . والمدمية على تنوع مظاهرها تنبع من مستنقع واحد ماؤه حميم ، هو تحطم باطن انسان على ظاهره . والامثلة على هذه المدمية عديدة .. وحسبي ان اورد منها عينية او اثنتين : فلعل قارئ بعد ذلك ان يكتشفها بجهد الخاص انى التقى بها .. غير مخدوع بعنوان وغير منوم بشهرة :

من شهور قرأت مقالا للعقاد .. استنسخته عن مجلة مصرية صحيفة تونسية واسمة الرواج ، خصصه - الكاتب الكبير - لحل مشكلسة القلق الوجودي الذي يحتفر الهوى في اعماق الانسان المعاصر ، انسان مبعذب حربين كونيتين .. وقبيل حرب نووية ثالثة ان لم تدمره احوالها بعد .. فقد دمرت اعصابه بالخوف والانتظار .. اما العقاد - المدمي - فيقدم لنا هذا الشريط الفاجع تقديما مفتعلا : فاذا هذا القلق العميق .. العميق ليس غير ازمة دينية تلقى حلها السعيد بالاستماع الى الاذان في هداة الليل .. والصلاة : ليس بيننا وبين زوالها الا ان نجسب ركعات .. وعلى هذا النحو يسطح المدميون المشاكل الجذرية مضللين الانسانية بما يقدمونه من حلول وتشخيص مضلل .

عينية اخرى .. مصدرها كذلك كاتب جدي هو توفيق الحكيم متحدنا عن واجبات الكاتب : الذي لا يستطيع في هذا العصر ان يصمم اذنيه عن طلبات جمهوره « المستيقظ : متعني وسليبي » : اذا من وظيفة الكاتب ان يسلي !! والثقافة بالتالي «حشيش» وخدر ! لا جمهورنا ابيكم ، ولو كلنا وعية القائم لقال: وترني .. وقص مضجعي . ولكنها المدمية .. الزبفة .. لمبتها لجم المطايا من الذبول .. وتحويل الفكر والحياة نفسها الى مجرد لعبة وعملية الهاء .

وجه آخر للمدمية وهو هذه « الانعزالية » واعني بها الامتناع الفعلي عن النضال ضد كل تهديم للنوع واجتراء على القيم الاساسية في الحياة . مثلا ، وراء حذود عالنا العربي ، نرى رسل الفيلسوف المجاهد منذ شبابه : رافضا التجند في الحرب لانه لا يؤمن بها . ويرغم السجن والامتنان .. وبيعه مكتبته - اعز ما يمتلك - لاستيفاء الفرامة المرهقة .. فانه لا يهن . ولا يستعطف .. بل يرى في الامر تشجيعا له .. وتوكيدا لايمانه العميق بالسلام . ومنذ اقل من عام خرج الفيلسوف المعجوز في قيادة تظاهر شعبي ضد التسليح .. وتحضير الحرب الثالثة . فاعتقل .. وادين .. ثم بارح السجن ليستأنف التظاهر والعصيان المدني وعمره ٨٩ عاما ... وما يزال صوته الرافع يلقي تعاطفا اعمق من كل تعاطف في كل قلب يؤمن بالانسان .

وهذا سارتر : الكاتب المقدس للحرية .. في سبيلها لقي الله حتى تظل الحرية هي المصون . ها هي الحرية تقتلها حكومة بلده في الجزائر .. ويقتلها الراسمال والحكم الانتهازي في كوبا ، فما هو موقف كاتب الحرية ؟ ايكفي بدون الكلمات في اكفان من السورق ، والكتابة من اعلى الشرفات ام يهبط الى دوار العمعة .. مراهننا بحياته ؟ وذلك ما فعل .

هدمت شقته بالقنابل فاعلان من الفداة تشكيل جامعة تضم المفكرين الاحرار للسردي على العنف بالعنف ، ومواجهة الحكومة المتواطئة مع الاجرام . وصودرت بعض اثاره لما تضمنته من نضال شريف ضد اباداة الشعوب بالجملة .. فسعى بوسائله الخاصة لنشرها خارج حدود فرنسا . وحرمت حكومته استعمال اسمه او صورته في الاداعة والتلفزة فلم يزد ذلك الا مضيا . وايمانه لم تزدته التهديدات بالموت .. والمضايقات الحكومية الا تعمقا واصالة . والامر كما قال هو نفسه : لكي نعرف قيمة الحياة نعرضها للاخطار من حين لحين !

هذا التعرض الاختياري للتعذيب .. ومواجهة الشر والعنف بكل بطولة هو المناضلة التي لم يخل منها تاريخ الانسان قديما وحديثا . بل انها حميم هذا التاريخ . وفي امتنا العربية امثلة ملهمة . فمالك

يعرض نفسه للجلد لمدافعة حاكم جائر : « يستهون اقدار خلق الله » وبشار يموت تحت السياط لانه شهر بخليفة الله بين الزق والعود .. يتحكم في رقاب واموال شعب برمته . والعربي منذ عرفه التاريخ ... عرفه مجترنا على الموت عندما يجب الاجتراء عليه .

اما اليوم فمسألة بل مخالفة الطفيان هي القاعدة - وكثيرا من الكتاب لا يتورعون عن انتهاك الحرمات بالذات التي زعموا انهم كرسوا حياتهم لصيانتها .. و « هم » على استعداد لبيع « البسادي » و « الفلسفات » بالدولار او الروبل .. كلما واتتهم فرصة رابحة ... لماذا ؟ الزعم بان ذلك جبلة عربية زعم مردود بشواهد التاريخ كالزعم بسديمية اللغة القريبة الخ . المزاعم والمفتريات . والخلسل ورائة استعمارية .. زال الاستعمار بشكله المسلح من بعض ارضنا .. ولكن مخلفاته لم تزل باقية .. وقد اجكم فنيوه طبعها في نفس الانسان العربي الناشئ الذي كان يؤم مدارسهم فيحضره ليلعب فيما بعد دور العميل او أي دور يعرض عليه لقاء مال . والشهبر بهذه الرواتب يشكل جزءا من مهمة كل كاتب مسؤول .

الوصاية اللغوية

على ان الوراثة الاستعمارية لم تقف عند احد . ولم تزل تتجلى في اكثر من ميدان وبأكثر من وجه ، ففي المناقشة العنيفة - لاحظت كلمات فرنسية ترجمة لقابلها العربي بالتأجيل كالدور والتسلسل Les positivistes والايجابيين Les nominatistes ولقد لفت انتباهي بوجه خاص خطأ ثقيل هو Viciouse نعنا للفظ Cercle والتمت في كل لغة من لغات البشر يتبعه المنعوت تذكيرا او تائينا .. الخ فمن ذا الذي انث Cercle لا اطنه الاستاذ المناقش وهو قد نشر حتى في بعض المجلات الفرنسية - ومهما يكن فالمسؤولية يتحملها غير منقوضة « الاستاذ » المتخفي ب. ع. ع الا ان تكون سبق لسان او زلة قلم او خطأ مطبعيا الخ . الاحترازا . وعندئذ فحسبي اني اصلحت خطأ وثبتت اليه .

والحق اني لم اقم نفسي لمجرد التنبيه الى خطأ في لغة يحترمها متكلموها ويعرضون على سلامتها بالجهد الصادق والتفاني المثالي ... وانما وجدتها مناسبة للتعبير عن رأي لم يفتنا يخالطني كلمات قرأت شيئا بالعربية موضوعا ومترجما وهي اثبات المقابل الاجنبي - واحيانا الماكس - لالفاظ غريبة خالصة لا تحتاج الى فرجة كالدور والتسلسل والالفاظ واردة بالترجمة شاعت وذاعت على كل لسان كالاسهيين والايجابيين والوجوديين .. واهتمامي هذه المرة ايضا غير منصب على حالات فردية بل على حالات نموذجية .. ذلك ان بعض العارفين باللغات الاجنبية يتورطون في هذا العبث لغير ضرورة ولغير حكمه . فمثلا في كتاب : تأملات وجودية « (١) للاستاذ ذكريا ابراهيم يصادف القارئ اثباتات للمقابل الا فرنجي لكلمات عربية لا تحتاج الى اي وصاية كالحب . والصدقة . والشيوخة . بينما في الكتاب كلمات اخرى اولى باثبات اصولها الاجنبية في منطق اللامنطق هذا . مثل الصيرورة .. والديمومة والخلو Vacoum بمعنى الفراغ المطلق او الغياب الكلي للحركة . ومع ذلك فالكتاب لا يفعل .

فهذه الظاهرة ان يكن لها من دلالة اخرى غير الظاهر الصياني بمعرفة هذه اللغة او تلك ، فهي التشكيك في جدارة اللغة العربية .. بدرجة انها - كحرف الجر فيها - لا تدل على مضي فسي نفسها الا اذا نصب لها وصي عليها من اللغى الاجنبية المعتمدة .

(١) تكرم الاستاذ ص الملوثي فالرسل الي هذا الكتاب من لبنان في احوال عصيبة كنت فيها موزولا كليا عن العالم الخارجي .. وكنت تأمل الموت .

مزيدا من الجهد

وزارات الثقافة في الدول العربية ثقيلة في هذا الصدد. ولعله كان افيد لبعض رؤساء اقسام الفلسفة بالجامعات العربية لو وجهوا جهودهم في هذا السبيل .. عوضا من التمثل .. والتفلسف الزائف .

ب - من حيث الكيف اي حظوظ الترجمة من التجويد والصحالة .. وبعض التسميعين يرون ان الرداءة هي الغالبة .. ومن ثم يقولون باستحالة الترجمة جملة وبالاخص لبعض الاثار الجمالية .. ويكفي لرد هذا الزعم : بان لا شيء يسهل ولا شيء بمستحيل على الجهد الصبور. ولماذا تمكن الترجمة من الانكليزية الى الفرنسية و « تستحيل » في العربية وهي - بحمد الله - متفتحة لم تفقد - ومع عنايتنا بها - لن تفقد قدرتها الفاتحة على الهضم والتوليد

ولكن دحض ذهن Psychose (1) الاستحالة لا يعني غياب المشكلة التي لحلها لا بد ان ننظر لها بموضوعية بلا تهوين ولا تهويل كذلك . ملاحظين بان الترجمة ليست عملية نقل بل هي ضرب من اعادة الخلق العسير .. بالاخص مع غياب المراجع اللغوية المختصة في العربية ، حيث على ما اعلم - لا وجود لقاموس فرنسي عربي - مثلا - الا لمجم الاب بيلو وهو مشحون بالاطعاء .. وترجمة «اللفظ» احيانا بسطر .. واغفاله التام لمعظم المصطلحات التي تشكل وحدها الصعوبة الكبرى .. بدرجة يصبح معها الاستفتاء عنه افضل من التمويل عيه .

والماخذ على حركة الترجمة تقريبا هي التالية :

الحرفية - سواء فيما يتعلق ببناء الجملة : حيث غالبا ما تنقل كما خلقت في لغتها الاصلية نقلا تصويريا .. يفوت معه احيائها البياني وبالاخص دلالتها الاساسية في العربية - وكذلك فيما يتعلق باللفظ حيث يترجم احيانا بسطر .. وحيانا بجملة مع عدم اداء مدلوله الخاص مع ذلك . وعوض ان يواجه الكتاب هذه العثرات بروح ايجابية للتعاون على اجتنابها .. فالعكس هو الواقع .. مما يكاد يذهب بكل فاعلية منتظرة من هذا العمل التأسيسي الحيوي .. بيت الشكوك . وصرف القراء عن الترجمات بغير تعله وغير ذهان : غير الصناديسة والرغبة المربضة في الماكرة والاشتهار مع ان الشرط الاولي لفعالية الفكر هو رفضه الكلي لمنطق الشهرة والتهريج .. وابتعاده التام عن التعويق . والهدم للهدم .

المظهرية

ولكن مع الاسف ، هذا الاتجاه الرخيص هو السائد . فمن زمن قرأت في مجلة الفكر التونسية مقالا يحتل منها الصدارة في موضوع فلسفي كرسه الكاتب « المتبرز » للتشهير بالترجمة « الشرقية » التي منها كتابة (سارتر) وفي اجتهاده يكتب (سارتر) الخ الاسماء المعروفة ولفظ Absurde لا تترجم بالعبث بل باحمال الا ان « مفكرا » (2) اخر يطلع حديثا باجتهاد جديد وهو - استحالة - ايجاد مقابل للفظ الفرنسي Absurde وانما ترجمته تكون هكذا : « الطفل يتمرغ على الرمل » وهذه العينيات ليست فردية بل « نموذجية » هي الاخرى وهي بالمعاني اشبه . ودلالاتها النفسية خطيرة : اذ هي في جوهرها

(1) - لقد اثبت هنا المقابل الاجنبي لان اللفظ الفرنسي ترجم اكثر من مرة بمقابلات في العربية اظن انها لا تؤدي معناه : ومنها ما اذكر في احدي اعداد مجلة علم النفس التكاملي حيث ترجمه الدكتور يوسف مراد بالالتيات العقلي ويظهر لي انها ابعد ما تكون عن معنى Psychose الذي هو مرض - يخيل وجود اللاوجود - والتبثات العقلي يقابلها L'aliénation mentale

(1) الاستاذ محجوب بن ميلاد المبرز في الفلسفة وعلم النفس في محاضرة له بالاذاعة العربية من تونس حديثا .

والحق ان الحديث في مسألة ازدواجية الكتابة .. اعقد من ان تهون بالإشارة العابرة .. لانها في الفترة الحالية من تكون الفكر العربي تطرح علينا مشكلة .. جدية تطلب الحل والانصاح ، ذلك ان كل عصر احياء حضاري يمتاز بظاهرتين متلازمتين هما : الرجوع الى الجذور البعيدة في ماضي الامة المستيقظ .. والتفتح المبدع على العطاء الحضاري العالمي ولذا كانت ترجمة الاثار العربية واليونانية الى اللغات الاوربية في بداية عصر النهضة الى جانب العود الى النبع في اعماق تاريخ اوروبا الناهضة ظاهرة ملحوظة - وتكاد تكون شرطية في كل حركة بعث .. ونحن اليوم في عصر احياء الفكر العربي نحيا تقريبا نفس الشيء .. من طبع للخائسر العربية القديمة وترجمة بعض روائع الفكر العالمي .

وان كنا لم نزل بعد في بداية المهمتين العظيمتين فلم نزل الوفاء من المخطوطات العربية لم تنشر بعد وهي ضائعة بين مكتبات العالم او المدخرات الشخصية .. اما في ميدان الترجمة فالشوط المقطوع مشجع - كما وكيفا - وان يكن يعاني من عثار وعطل ساحاول ان احيط به بكل سرعة - في الاسطر التالية :

أ - من حيث الكم : بينما تنتشر ترجمة القصص والروايات والكتابات الخفيفة حتى المعطل منها من كل قيمة تبرر نشره . تبقى امهات الاثار مجهولة من الشباب العربي الذي لم يتمكن من لغاتها . وحاجة الكاتب العربي في مرحلة التكون اشد الى هذه الوصول الفكرية الثرية منه الى سواها . وهي لنا كما هي في اللغات المكتوبة بها - ارضيه - Plate - forme الانطلاق في كل نشاط تأسيسي هادف لا تزخر به من اطالات شاملة على حركة التاريخ . ومنطق فلسفي مستوعب يحمي الذهن من التبدد في فضاء فكري بلا ابعاد . وقد تعود قلة الاهتمام بترجمة هذه الاثار الى صعوبتها . وانعدام القواميس المختصة في القرية . والروح التجارية التي تهيمن على اكثر دور النشر . ومسؤوليات

مجموعة قصص اجتماعية

قصص من صميم مجتمعنا العربي

| صدر منها | ق.ل |
|--|-----|
| ١ - الصبي الاعرج بقلم : توفيق يوسف عواد | ٢٥٠ |
| ٢ - قميص الصوف بقلم : توفيق يوسف عواد | ٢٠٠ |
| ٣ - الرغيف بقلم : توفيق يوسف عواد | ٤٠٠ |
| ٤ - دمعة صلاح الدين بقلم : خليل الهنداوي | ١٧٥ |
| ٥ - حكايات لبنانية بقلم : كرم البستاني | ٤٠٠ |

مؤلفات جبران خليل جبران

| صدر منها : | ق.ل |
|--|------|
| ١ - المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران العربية | ١١٠٠ |
| ٢ - الأرواح المتمردة | ١٥٠ |
| ٣ - الإجنحة المتكسرة | ١٢٥ |
| ٤ - دمعة وإبتسامة | ٢٠٠ |
| ٥ - العواصف | ٢٠٠ |
| ٦ - البدائع والطرائف | ٢٠٠ |

الناشر : دار صادر - دار بيروت

العداة - الشرود من نحو الايل والظباء والوعول .. وتحري المترجم مرغوب . ليفهم القاري المعنى بلا لبس . وحتى لا تستفحل العجمة او حب القرابة . ولا ياس على المترجم عندما يبلغ اجتهاده مستواه بلا عائدة في الظفر بمقابل عربي مضبوط .. ومختصر - ان يعرب الكلمة لا ان يترجمها - والامر لا يطبق في الحالات السابقة - واللغات الحية كلها تفعل .. ولا تشح بمنح الجنسية لكل مرغوب فيه .. وكم في اللغة الفرنسية من الفاظ المانية وانكليزية وعربية - مفرسة -

مسؤولية الكاتب

هذه بعض ملاحظات على وجازتها حاولت ان تكون مركزة على لبوب القضايا - الام . والكاتب العربي بحكم وظيفته في الحياة هو المسؤول الاول ، ان لم يكن الوحيد ، عن المساهمة الجادة في حلها ... بشرط ان يظل مقالا ضروريا ومفيدا في هذه الحياة القصيرة ... والمهددة بالانطفاء المباغت .. دون ما استهتار بالزمن في الشجار العقيم الذي يستفحل في غياب كل حضور احيل للفكر الموضوعي الذي لا يبالي ان يظهر الحق على يديه او على يدي - خصمه - حسب الفعل . ودعوة الناس الى ان يفكروا فيما لم يفكروا فيه بمد . طالما كل مجهود انساني ، بطبعه ، غير مكتمل وانما ينزع دائما نحو الاكتمال الممكن والذي لا يستطاع حتى التنبؤ به

فاذا تخلى الكاتب عن الولاء للقيمة .. فقد تخلى عن رسالته . اذ المناقشات و «المبارك» بقصد المصايقه او بقصد من هذا القبييل مخسورة سلفا . والانتصار الحقيقي انما هو في تلك المحاولة الصادقة لدرس حقائق الامور والتعبير عنها لتغيير الواقع او شيء منه .

العفيف الاخضر

فرنسا

صدر حديثا :

عينك قدرتي

قصص

بقلم غادة السمان

منشورات دار الاداب

التهن ٣ ل ل

تتصل غير شريف من مسؤولية العمل البناء ، وتمويض بالتدلي لتلك الصبوة العارمة الى الاضافة .. ونيل ما لم ينل بمد .. وهي من الوجهة التاريخية امتداد لروح الجادلات الصاخبة التي كانت تدور بين الفقهاء في عصور تهافت الثقافة العربية .. والتي كان منتظرا ان تنتهي مع اخر رواستها في مهارات شكيب ارسلان والرافعي : حول : ايهما اشد عروية - مسرح - ام مسرح ؟ الخ .. وهي اليوم على يد « الملقين » تطلع بوجه جديد .. ولكنه اشد خطرا لانه وجهة سالبة لا تتوخى غير النفي والتشكيك .. حيث اصبح النفي - في عصر المكتبات - تعظيلا من كل ايمان بالله . والانسان . والحياة .

وتعليل هذه الاعراض المرضية في الفكر العربي المعاصر على اختلاف بينها في الظاهر يرجع الى المظفرة - التي تحيل الكتابة الى وسيلة لتوكيد الذات والتهافت الذبابي على الشهرة لكسب المواقع والظفر بتصفيق المتفرجين . ولكن عندما يتخلى الكاتب عن الجسد والصدق الفكري فانما يتخلى جوهرها عن انبل واخصب ما فيه .. ولن يبقى منه كتاب بل كاسنان الاجثة لم تدفن بعد .

ورأيي في حل مشكلة الترجمة يتلخص في اجتناب الحرفية التي يفوت معها المعنى في العربية .. فيصبح الاثر المترجم لغزا . وذلك بالعمل على صعيدين فردي وجماعي الاول يتمثل في الاجتهاد الخاص - بلا تقصر - عند انعدام سابق محاولة جدية . وفي هذه الحال يستحسن اثبات المقابل الاجنبي مع ايضاح هامشي عند اللزوم . وكتابة تبست بالكلمات والمصطلحات عقب كل كتاب - اوبحث مترجم .

اما العمل الجماعي - وهو ضروري - فيشمل اولاً التعاون على ترجمة الاثار وحتى البحوث القصيرة .. ومراجعتها من المختصين . وثانيا ترجمة القواميس الاختصاصية من ادبية وفلسفية وعلمية واشتقاقية .. وهو عمل وصولي للتعميل باصدار قواميس مختصة في اللغة العربية مباشرة . وانه لمخجل في مرحلة الاحياء ان نتهاون بهذا المجهود الشرطي لسلامة انطلاقتنا الشمولية وثورتنا البانية ضد كل استنقاع في اوضاعنا الورثة . او متاعبنا المستوردة . وتدخل الدولة المسؤولة في هذا الميدان فرض وواجب .. اذا ان المهمة فوق طاقة الفرد العادي .. واني لاتوجه هنا الى كل حاكم عربي القلب والعقيدة .. يهيم ان نعيش - فكريا - في مستوى عصرنا ، ليعمل على رعاية هذا المشروع .

والى هذين المجهودين : الفردي والجماعي هناك دور بارز للصحافة والقراء في تصويب بعض ما قد يتراءى لهم من انحراف فيما يقرأونه من مترجمات او موضوعات .. واني هنا اراها مناسبة للتشديد باتجاه خطير .. خطورة الانحرافات السابقة وهو عزوف بعض الملمين باللفسات الاجنبية عن قراءة الاثار المترجمة .. بتعلة التفرغ اليها في اصولها .. وقد لا يكون هذا الزعم الا ذريعة ... وعلى افتراض تصديقهم فقراءة المترجمات في مصادرها لا تقني عن معاودتها مترجمة ، على الاقل ، بنية الوقوف على جهود المترجم في نقل الاثر للاخ - الاخر - الذي لا يقدر على الاطلاع عليها بدون وسيط .

وبالنسبة لكاتب هذه السطور فلا حرج مطلقا في قراءة المترجمات حتى ولو سبقت قراءة اصولها احيانا اكثر من مرة .. ومن خلال هذه العملية استطاع ان يساهم - بتواضع - طبعا في تحضير تبست جاهز للنشر لتصويب بعض اجتهادات شخصية لكثير من المترجمين مثل *Vulnérable* في سياق هذه الجملة : - والجيش الالمانى - قابل للانجراح - والترجمة الاوفى للكلمة هي - متستهدف - وفي العربية : استهدف تعرض للاخطار .. والعطب ومن نحو هذه الجملة الاخرى : - كهروض - الحيوانات الشقر - ولا شك ان المترجمة المجدة ترجمتها حرفيا عن *Les bêtes fauves* وترجمتها كما ارى - الاوابد - وهي الحيوانات